طرق وصيغ ترجيح المعاني التفسيريّة عند الحاكم الجشميّ في تفسيره (التهذيب في التفسير) سورتا الفاتحة والبقرة أُنموذجا

أحلام عودة مصطفى الدّيّات[i]
أ.د. يحيى ضاحي علي شطناوي[ii]

تاريخ الاستلام
2024/4/15
تاريخ القبول
2024/7/6

الملخص

هدفت الدراسة إلى الكشف عن طريقة الحاكم الجشمي في ترجيح المعنى التفسيريّ لمفردات الكتاب العزيز وآياته، ومعرفة صيغ الترجيح في تفسيره، وانحصرت صيغ الترجيح لديه: بأقوى صيغ الترجيح، والترجيح بصيغة السؤال والجواب (فنقلات الحاكم الجشمي)، والترجيح بالصيغ المحتملة.

لذا تناولت الدراسة الحديث عن طريقته في ترجيح المعاني التفسيريّة، وصيغ الترجيح لديه، وأخذت الدراسة سورتي: الفاتحة، والبقرة أُنموذجًا من الجانب التطبيقيّ.

أما المنهج الذي سلكه الباحث فهو المنهج الاستقرائي والتحليلي الاستنباطي، وخُتِم البحث بخاتمة احتوت أهم النتائج والتوصيات، ومن أبرزها أن إيراد الترجيح لا يكون إلا إذا ورد أكثر من قول في بيان معنى الآية، وبيان أبرز طرق الترجيح وصيغه عند الحاكم الجشمي.

الكلمات المفتاحية: الحاكم الجشميّ، تفسير الجشمي، صيغ الترجيح.

---

[i] دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن- جامعة اليرموك
[ii] استاذ التفسير وعلوم القرآن- قسم أصول الدين - كلية الشريعة- جامعة اليرموك

Methods and Formulas for Prioritizing Interpretive Meanings According to Al-Hakim Al-Jashmi in his Interpretation (Al-Tahdhib fi al-Tafsir): Surat Al-Fatihah and Surat Al-Baqarah as Examples

Abstract

This study aimed at revealing the method of Al-Hakim Al-Jashmi in prioritizing the interpretive meaning of the vocabulary of the Holy Qura'n and its verses, and to know the prioritizing formulas in its interpretation. His prioritizing formulas were limited to the strongest prioritizing formulas, prioritizing in the form of question and answer (al-Hakim Al-Jashmi's quotes), and prioritizing using the possible formulas .

Therefore, this study discussed his method of prioritizing meanings and his formulas for prioritization; the study took Surat Al-Fatihah and surat Al-Baqarah as a model of the applied side.

The researcher adopted the inductive, and analytical-deductive approach. The most prominent results and recommendations were - the presentation of preference is only done if more than one statement is presented in explaining the meaning of the verse, and stating the most prominent methods of prioritizing and its formulas according to Al-Hakim Al-Jashmi.

Keywords: Al-Hakim Al-Jashmi, Tafsir Al Jashmi, prioritizing formulas.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الخلق أجمعين، محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعدُ:

فإنَ القرآنَ الكريمَ كتابُ الله الخالد، والمعجزة الكبرى والباقية على مر الأزمان والعصور، المعجز للأولين والآخرين إلى يوم الوقت المعلوم، ومن مظاهر عناية الله عزَ وجل له أنْ تكفّل بحفظه، و قدَر له الحشود العظيمة؛ لتدارسه، وتدبّر مفرداته، وفهم منابعه ومراميه، وفق ما حباهم الله من قدرات وأفهام، ووفق ضوابط مرسومة لا تخرجهم عن الصواب، فكان منهم الحاكم الجشميّ الذي عكف على مدارسة القرآن الكريم، يفيد من علومه ويحلّل وينتقد ويعلّل؛ فجاد قلمُه، وبرع فكرُه، فمنَّ الله عليه بإخراج تفسيره الموسوم ب(التهذيب في التفسير)، حيثُ الدقُّة في المنهج، والاستنباط والتحليل والترجيح والتحرّي للصواب؛ ولهذا فإنّ هذه الدراسة محاولة جادة لدراسة طرق وصيغ الترجيح للمعاني التفسيرية عند الجشميّ في تفسيره، لسورتي: الفاتحة والبقرة، اللتين ستكونان ـ بإذن الله ـ نموذجين يتّضح منهما اعتناء الحاكم في بيان ترجيحاته للمعنى التفسيري للمفردات والآيات القرآنية؛ وصيغ الترجيح عنده، وإرساء دعائمها من بنائه للمعنى التفسيريّ، وينبغي التنبيه هنا على أنَّ هذا البحثَ مستلٌّ من رسالة علميّة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس: ما طرق ترجيح المعاني التفسيرية وصيغها عند الحاكم الجشميّ؟

ويتفرّع عنه الأسئلة الآتية:

1- كيف تناول الحاكم الجشميّ ترجيح المعاني التفسيرية؟

2-ما صيغ الترجيح التي برزت عند الحاكم في بيانه للمعاني التفسيرية، من حيثُ القوةُ، والضعف، والاحتمال؟

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

1-بيان طرق ومسالك الحاكم في ترجيح المعاني التفسيريّة.

2-التعرّف على صيغ الترجيح عند الحاكم، ونماذج تطبيقيّة على ذلك من سورتي: الفاتحة والبقرة.

أهمية البحث:

رغم ما حظي به تفسير (التهذيب في التفسير) من عناية واهتمام من العلماء والباحثين المعاصرين؛ إلا أنّه لم يحظَ بالاهتمام الذي حظيت به كثير من كتب التفسير، ولم يفرد أحدٌ هذا الجانب بالبحث والدراسة؛ لذا تتجلى أهمية البحث في كونه يلقي الضوء على الأمور الآتية:

1-بيان المكانة العلمية التي حظي بها الحاكم الجشمي بين أقرانه، فقد برع في التفسير، والفقه، والعقيدة واللّغة.

2-بيان طريقة الحاكم في ترجيح المعاني التفسيرية لمفردات وآيات القرآن الكريم.

3- إبراز صيغ الترجيح عند الحاكم؛ ليفيد منها طلبة العلم المختصين في التفسير في سورتي: الفاتحة والبقرة أنموذجا.
4-إثراء المكتبة القرآنية بدراسة جانبٍ من مكنونات هذا التفسير.

الدراسات السابقة:

لا أعلم أحدا كتب في ترجيحات الحاكم للمعاني التفسيرية في تفسير (التهذيب في التفسير) حتى الآن، أمّا ما كُتِبَ عنه في غير هذا المجال فأحسبه ليس بالكثير إذا نظرت لغيره من التفاسير؛ فهناك رسائل جامعية تناولت موضوعات متفاوتة، أبرزها:

1-دراسة زرزور(1971م)[iii]، الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، ركزت الدراسة على بيان منهج المعتزلة في تفسير القرآن الكريم، وبيان أهمية الجانب الفكري في دراسة منهج أي مفسر، وأفصحت عن مكانة الحاكم الجشمي وأثره في المفسرين من بعده، وأفدت منها في كيفية بناء الحاكم لمنهجه.

2-دراسة عمورة (2021م)[iv]، التفسير البلاغي في كتاب التهذيب في التفسير، ركزت الدراسة على بيان اهتمام الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير البلاغي، وما يتعلق به من قضايا، بينما هذه الدراسة ستأخذ على عاتقها دراسة الترجيحات في المعاني التفسيرية، مع إمكانية الإفادة من هذه الدراسة فيما يتعلق بمنهجه في عرض الأقوال التفسيرية والترجيح والاختيار بينها على العموم.

3-دراسة العروسي (2007م)[v]، الدرس النَّحْويّ والصَّرْفي في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي، تناولت الدراسة جانب النحو والصرف في تفسير الحاكم الجشمي ومصادره وطريقته في العرض وأسلوبه في الشرح والاستدلال، وعوامل الاختيار والترجيح عنده، ويعرض للدرس النحوي والصرفي ويناقش المسائل الواردة فيها، وأفدت منها في بيان منهجه في الاختيار والترجيح بوجه عام.

4-دراسة سليمان 2022م[vi]، سنان عبدالله مجمل، ترجيحات الحاكم الجشمي في تفسيره "التهذيب في التفسير "سورتا الفاتحة والبقرة أنموذجا، تناولت هذه الدراسة مفهومي الترجيح والاختيار، ثم استعرضت صيغ الترجيح والاختيار عند الحاكم الجشمي، وتهتم الدراسة ببيان منهج الحاكم الجشمي في الترجيح بين الأقوال من خلال تفسيره، وتزامنت هذه الدراسة مع الدراسة التي بين أيدينا، إلا أن الدراسة الحالية تختص بالترجيحات الواردة في المعاني التفسيرية في تفسير التهذيب في التفسير.

[iii] زرزور، عدنان محمد، الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم . جامعة القاهرة،1971م.

[iv] عمورة ،ميادة حسن حسين، التفسير البلاغي في كتاب (التهذيب في التفسير) للحاكم الجشمي، جامعة العلوم الإسلامية العالمية/عمان،2021م.

[v] العروسي، احمد حسن، الدرس النحوي والصرفي في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي، جامعة صنعاء/ اليمن، 2007م.

[vi] ـ سليمان، سنان عبدالله مجمل، ترجيحات الحاكم الجشمي في تفسيره "التهذيب في التفسير "سورتا الفاتحة والبقرة أنموذجًا، كلية التربية بالمحويت، جامعة صنعاء، 2022م.

5-دراسة الخالدي[vii]: آيات الأحكام المتعلقة بالوصية عند الحاكم الجشمي (494هـ) في تفسيره التهذيب: سورة البقرة أنموذجًا، تناولت بيان استنباط الأحكام الفقهية المتعلقة بالوصية، واتخاذ اسلوب المقارنة في بيان آراء الموافقين أو المخالفين، وأفدت من هذه الدراسة في التعرف على منهجية الحاكم الجشمي في بيان أحكام الوصية والآراء المتعلقة بذلك بأسلوب مقارن.

6-دراسة وردات 2021م[viii]: القراءات القرآنية عند الحاكم الجشمي في تفسيره (التهذيب في التفسير)، بينت الدراسة مدى عناية الحاكم الجشمي في القراءات القرآنية في تفسيره (التهذيب في التفسير)، وتبرز عنايته واهتمامه بترجيح القراءات وتقديم القراءة المتواترة على الشاذة.

7-دراسة الطويسي 2022م[ix]: علم المناسبة في تفسير الحاكم الجشمي (التهذيب في التفسير) دراسة تحليلية، تظهر الدراسة مدى اهتمام الجشمي بإظهار المناسبات وكيفية اتصال الآيات والسور بعضها ببعض، وبيان الروابط والصلات بينها بشكل موجز وغير مخل.

8-دراسة الجندي 2021م[x]: آيات الأحكام في تفسير الحاكم الجشمي، دراسة تحليلية، وتظهر الدراسة مدى اهتمام الجشمي بآيات الاحكام في تفسير التهذيب في التفسير، والترجيح بين الاقوال، وفي بعض الأحيان يذكرها لكن من دون ترجيح.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث استعمال المناهج الآتية:

1-المنهج الاستقرائي: ويتمثل في استقراء تفسير الحاكم كاملا، وحتى لا تكون الإطالة اقتصر الباحث على سورتي: الفاتحة والبقرة أنموذجا تطبيقيا.

2-المنهج التحليليّ والاستنباطيّ، وذلك من خلال تحليل المعاني التفسيرية عند الحاكم، واستخلاص كيفية ترجيحه للمعنى التفسيريّ وصيغ الترجيح.

حدود الدراسة:

يتناول هذا البحث طرق ترجيح الحاكم الجشمي للمعاني التفسيرية وصيغ الترجيح في تفسيره، في سورتي: الفاتحة والبقرة أنموذجًا.

[vii]- الخالدي: صلاح محمد خلف نهار، آيات الأحكام المتعلقة بالوصية عند الحاكم الجشمي (494 هـ) في تفسيره التهذيب سورة البقرة أنموذجا، كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة الأنبار، الناشر: الجامعة العراقية- مركز البحوث والدراسات الإسلامية،2021م.

[viii] - وردات، تقوى مناور عبد الرحيم، القراءات القرآنية عند الحاكم الجشمي في تفسيره (التهذيب في التفسير)، جامعة العلوم الاسلامية العالمية - الاردن/2021م.

[ix] - الطويسي: آلاء محمد توفيق، علم المناسبة في تفسير الحاكم الجشمي دراسة تحليلية، جامعة العلوم الاسلامية العالمية- عمان - الاردن.

[x] - الجندي: الشيماء سعيد عبد السلام، آيات الأحكام في تفسير الحاكم الجشمي، جامعة العلوم الاسلامية العالمية - عمان ،2021 م.

خطة البحث:
اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:
-المقدّمة: وتتضمن أهمية البحث، ومنهج دراسته.
-التمهيد: ترجمة للحاكم الجشمي: (حياته ونشأته ووفاته)
-مكانته العلمية ومؤلفاته.
- نبذة عن تفسيره (التهذيب في التفسير)
المبحث الاول: طريقة الحاكم الجشمي في عرض المعاني التفسيرية وترجيحها.
المطلب الأول: البدء بالكلام، والاستشهاد بالأمثلة، فالتعقيب بأقوال بعض العلماء مسندة وغير مسندة.
المطلب الثاني: البدء بذكر آراء العلماء، فالتعقيب برأيه في مواطن، ومن دون تعقيب في أخرى.
المبحث الثاني: صيغ ترجيح المعاني التفسيرية عند الجشمي في تفسيره.
المطلب الأول: أعلى صيغ الترجيح وأقواها.
المطلب الثاني: فنقلات الجشمي.
المطلب الثالث: الصيغ المحتملة.

الخاتمة
التمهيد: الحاكم الجشمي وكتابه التهذيب في التفسير.
* ترجمة للإمام الحاكم الجشمي [xi].
اسمه: هو الإمام الحاكم أبو سعد المُحْسن بن محمد بن كرامة بن محمد بن أحمد بن الحسن بن كرامة بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، الجُشَمي البيهقي، ولد بقصبة جشم، إحدى قرى بيهق، في رمضان من عام 413هـ، وتوفي في الثالث من رجب لعام 494هـ وله من العمر إحدى وثمانون عاما.
حياته العلمية:
تتلمذ على شيوخ عصره، وكان جلهم من المعتزلة أمثال: أبو علي الجبائي، وأبو مسلم الأصفهاني، وأبو بكر الأصم، والقاضي عبد الجبار الهمذاني، وأبو حامد بن محمد بن إسحاق

[xi] ترجم له :
- ابن فندمه، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي (ت 565هـ)، تاريخ بيهق، دار إقرأ، دمشق، ط 1، 1425 هـ، (ج1 /ص 390).
- الزركلي: خير الدين محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط (15 أيار/2002 م).
- ابن منظور: محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين، (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر –بيروت، ج 12/ص 101.
- كحالة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني (ت 1408هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى /بيروت، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ج 8/ص 178.

النجار (وهو أول شيخ له)، وأبو الحسن علي بن عبدالله، وأبو يعلى الحسين بن محمد الزبيري، أمّا تلاميذه فمنهم: أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزميّ، علي بن زيد الروقاني، وولده محمد بن المحسن، وجار الله محمود الزمخشريّ[xii].

أما معتقده ومذهبه، فهو معتزلي المعتقد، أخذ عن القاضي عبد الجبار، وعد الحاكم الجُشمَي من أشهر رجالات المدرسة الجبائية، بعد القاضي عبدالجبار، فالحاكم الجُشمَي من الزّيْدُية المعتزلة، ولا يختلف عن الزّيْدُية في الأصول الاعتقادية إلا في مسألة الإمامة[xiii]، ويظهر ذلك جليًا في تفسيره[xiv].

*** كتاب التهذيب في التفسير ومكانته.**

اهتمَّ المعتزلة اهتمامًا بالغًا وواضحًا بتفسير القرآن الكريم في وقت مبكر، وكان تفسير بعضهم يقتصر على تفسير بعض الآيات، كما في كتاب الرُّماني (النكت في إعجاز القرآن)، وما ورد عن القاضي عبد الجبار في كتابه المغني فيما يتعلق بـ (إعجاز القرآن)، وبعضهم فسّر القرآن كاملاً، كتفسير القاضي عبد الجبار، وتفسير أبي مسلم، والبلخي، لكن لم يصل إلينا من هذه التفاسير الكاملة قبل تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل) شيء، إلى أن وصل تفسير (التهذيب في التفسير)، وبدأ العلماء بتحقيقه والبحث في مكنوناته وكنوزه، والذي يظهر من البحث والتحرّي أنّ هذا التفسير اعتمده كثير من علماء اليمن وتداولوه منذ أنْ وصل إليهم[xv]، كما يشير الباحثين والدارسين إلى كثرة نسخه في المكتبات اليمنية.

ويذكر حاجي خليفة في (كشف الظنون) والذين ترجموا للحاكم، أنّ هذا التفسير تفسير شامل لجميع سور القرآن، يبدأ من سورة الفاتحة ويختم بسورة الناس، سلك الحاكم فيه أسلوباً فريدًا ومتميزًا، في عرضه للآيات وتفسيرها، فتجده يفسر آية، أو مجموعة من الآيات من خلال عناصر ثابتة، سمّاها الحاكم (علوم القرآن)[xvi]، وهي: القراءات، واللغة، والإعراب، وأسباب النزول، والنظم والمعنى، والأحكام، وأحيانًا يذكر القصة والفقه.

وتبرز مكانة هذا التفسير من ثناء العلماء عليه، فعلى سبيل المثال ثناء ابن فندق على تفسير الحاكم، بقوله: "الحاكم الإمام أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي، وقد صنف تفسيرًا لطيفًا في عشرين مجلّد[xvii]، كما ذكره ابن المرتضى[xviii] (775هـ/840هـ) في شرح

[xii] القاسم: إبراهيم بن القاسم(ت 1153 هـ)ن طبقات الزيدية الكبرى،ط1، 2001م، تحقيق عبد السلام بن عباس الوجيه ،مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ص 892، وعيون المسائل للحاكم الجشمي، تحقيق رمضان يلدم، دار الإحسان، ص 27، و الصرفيني: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ت 641هـ، تحقيق خالد حيدر ن دار الفكر، 1414هـ ، ص 497.

[xiii] زرزور، الحاكم الجشمَي ومنهجه فَي التفسير، ص93.

[xiv] المصدر السابق، ص 94.

[xv] ينظر: المؤيد بالله، إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية الكبرى، ج894/2.

[xvi] ينظر: الحاكم الجشمي، التهذيب في التفسير، 193/1.

[xvii] ابن فندق ، تاريخ بيهق، ص 390.

الأزهار، بقوله: "له كتاب التهذيب المشهور المميز بين التفاسير بالترتيب الأنيق، فإنّه يورد الآية كاملة،"[xix].

المبحث الأول
طريقة الحاكم الجشمي في عرض المعاني التفسيرية وترجيحها

يعرض الدارس في هذا المبحث إلى طريقة الحاكم الجشمي التي سلكها في عرض المعاني التفسيرية في كتابه:

المطلب الأول: الإتيان بالكلام، والاستشهاد عليه، والتعقيب بأقوال العلماء ونسبتها إليهم.

والمراد هنا أنْ يبدأ بكلامه مفسِّرا للآية الكريمة، وشارحًا لمعانيها ومراميها، مردفًا حديثه عن الآية، ومستشهدًا بآية أخرى غالبًا، ثمّ يعقب بأقوال غيره من العلماء معزًّفا بهم أو غير معرّف، أي أنّه أحيانًا يذكر الأقوال من دون نسبتها إلى أصحابها.

وإليك نماذج من هذا النوع:

- قوله تعالى: (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الفاتحة، بدأ الحاكم الجشمي قوله :"ثمّ أمر الله تعالى بحمده، فقال: (الْحَمْدُ للَّهِ) يعني الوصف الجميل، والشكر على النعم كلّها لله تعالى، واللام للجنس، يعني كلّ الحمد لله؛ لأنَّ النعم كلَّها منه"[xx]، وسبق ذكر مثل هذه المعاني عند الإمام الطبريّ في تفسيره: "جميع المحامد والشكر الكامل لله"[xxi]، وقول الحاكم: "يعني" يفيد تفسيره هو، أو المعنى الذي يرتضيه، ومراده من التفسير، وعند حديثه عن قوله تعالى: (رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)، يستشهد بأقوال غيره، دون نسبتها لأصحابها، كقوله:" قيل: سيد الخلق ومالكهم، وقيل: منشئهم ومربيهم...(الرَّحِيمِ): واسع الرحمة، كأنَّه قيل: الأوصاف الجميلة والثناء الحسن كلّها للذي يحقّ له العبادة؛ لكونه قادرًا على أصول النعم، وفاعلاً لها، ولكونه منشئًا للخلق، ومالكًا لهم، رحيمًا بهم"، ويرى الباحث أنَّ عبارة الحاكم "كأنّه قيل" وما تلاها هو من كلام الحاكم، يفترض سؤالاً ويقدّر إجابة.
- قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) الفاتحة، لما بين الله تعالى انه مالك الدنيا والآخرة أمر بأن يُعبد دون غيره، ويستعان به دون غيره، فقال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) أي نخضع لك، ونوجه العبادة إليك،) وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) أي "نطلب المعونة منك على عبادتك[xxii]" والعبادة بهذا

[xviii] ابن المرتضى: أحمد بن يحيى، من سلالة الهادي على الحق بالدين والأدب ، من أئمة الزيدية باليمن./الزركلي، الاعلام، ج1/ص 269.

[xix] ابن المرتضى، شرح الأزهار نسخة الكترونية/المكتبة الشيعية،ج1/ 32.

[xx] التهذيب في التفسير، ص 206

[xxi] تفسير الطبري، ج1، ص 138.

[xxii] التهذيب في التفسير ، ص 211.

المعنى يوافق المعنى الذي ذكره أبو حيان في تفسيره، أنها بمعنى التذلل لله والتجرد له بالعبادة وطلب المعونة[xxiii].

ثمَّ يتابع الجشمي قوله: "ومتى قيل: ما الذي يجب على العبد أنْ يفعل حتى يصير فعله عبادة؟ قلنا: ينبغي أنْ يكون الفعل ممّا يُتقرّب به إليه، ثمّ يقصد التقرب، .... ومتى قيل: (إياك) خطاب مشاهد، وهو غير مشاهد؟ قلنا: هو في حكم المشاهد؛ لكونه عالمًا قادرًا عليه، رائياً له، سامعًا لما يقوله، ومتى قيل، ولِمَ قيل (إياك) ؟..."[xxiv].

هنا تجد أنَّ الحاكم اكتفى بكلامه وفنقلاته المبنية على افتراضاته بصيغة:"ومتى قيل؟ قلنا"، أي تساؤلات الحاكم (يفترض سؤالاً، ثم إجابة)، ولم يتطرق إلى أقوال غيره من العلماء.

- قوله تعالى: (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59) البقرة.

تجد الحاكم الجشمي هنا أيضًا يبتدئ بكلامه مفسِّرًا من بعدها ينقل عن غيره ويعقب، فيقول: "ثم بين تعالى عصيانهم فيما أمروا به، قال "فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا" يعني غيروا ما أمروا به، فقالوا غير ذلك، واختلفوا في ذلك الغير، فقيل: قالوا: حنطة حمراء فيها شُعيرة، وقيل: قالوا: حنطة تجاهلاً واستهزاء، عن ابن عباس، وقيل: أمروا بالطاعة فبدلوها بالمعصية، وقيل: غيروا القول ولم يبين ما قالوا، عن الأصم، وقيل: دخلوا مقنعي (رؤوسهم) على استاههم[xxv]، وقد أمروا بالسجود[xxvi]"، تلحظ أنَّ الحاكم في هذا المثال يذكر أقوال من سبقه بنسبها إلى أصحابها، فتراه كثيرًا ما ينقل عن ابن عباس -رضي الله عنه- وقتادة، والأصم وغيرهم، ويكمل تفسيره لقوله تعالى: "فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا" بقوله: "يعني عصوا ربهم بالتبديل، فصاروا ظالمين لأنفسهم بما وجب لهم من العذاب" .أمّا في بيان كلمة "رجزًا" فينقل عن غيره، فيقول: " عذابًا، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، والأصم، وأبي علي، وأبي مسلم، وقيل بعث عليهم الطاعون فهلكوا، وبقي الأبناء ..." وفي بيان معنى كلمة رجزًا أنّها عذابٌ، أي أنَه رجّح أنَّ معناها عذابٌ، حيث أسند هذا القول لأصحابه (عن ابن عباس والحسن وقتادة والأصم وابي علي وأبي مسلم[xxvii])، فدلَّ على إجماعهم على هذا المعنى (عذابًا)، وهذا سبب ليرجّحه الحاكم فيكون المعنى المراد، ودلّ على ذلك أيضًا ما سبق من بيان حينما قال: "فصاروا ظالمين لأنفسهم بما وجب لهم من العذاب"، يؤكّد أنَّ المراد بالرجز هنا هو العذاب، وقد رجّح الإمام الطبريّ هذا المعنى، وأنَّ العذاب أصناف مختلفة[xxviii].

[xxiii] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الاندلسي ت 745هـ، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ج 1/ص 41، بتصرف.

[xxiv] التهذيب في التفسير ، ص 212.

[xxv] أستاهم: أصله سَتَه وجمعه استاه ، والأست العجز، ويراد به حلقة الدبر.(لسان العرب، ج 13/ص 495).

[xxvi] التهذيب في التفسير، ص 402.

[xxvii] هم من شيوخه: أبو بكر الأصم ،و أبو علي الجبائي، و أبو مسلم الأصفهاني.

[xxviii] ينظر تفسير الطبري، ج2/ ص 118.

- قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113) البقرة.

وفي بيان الحاكم لمعنى قوله تعالى: "(وَهُمْ يَتْلُونَ) يقرأون" الكتاب" قيل: التوراة التي اتفقوا على العمل بها. ومتى قيل، لِمَ ذكر تلاوتهم الكتاب؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال، الأول: إزالة الشبهة بالتلاوة ...، وقيل: لما أنكروا عنادًا، ساووا الجهال في دفع الحق، وقيل: لأنّهم مع تلاوته لا يرجعون إليه ...[xxix]". يتضح أنَ هذا شاهد آخر على إتيان الحاكم بأقوال سابقيه، إلا أنّه في هذا المثال لا يرجّح قولاً على آخر، إنّما يذكرها ذكرًا، وهذا ممّا يلحظ عليه في كثرة نقولاته، وفي تفسير قوله تعالى" وَهُمْ يَتْلُونَ" أورد الطبريّ في تفسيره: "مع تلاوة كلّ واحد من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قيله ذلك. فأخبر جل ثناؤه أنَّ كلّ فريق منهم قال ما قال من ذلك، على علم منهم أنّهم فيما قالوه مبطلون؛ وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفة منهم بأنّهم فيه ملحدون[xxx]، ويظهر للباحث أنّ ما أورده الحاكم في القول الأخير يوافق ما ورد عند الطبري في تفسيره.

ومثل هذه النماذج شواهد كثيرة، تشهد بأنّ الحاكم كثيرًا ما ينقل الأقوال عن سابقيه، ولا ينسبها لأحد، مكتفياً بصيغة "قيل" إشارة إلى نقلها عن غيره؛ ليظهر مبلغ اهتمامه بالأخذ عن غيره وسعة اطلاعه. وفي موضع آخر يذكر الأقوال ناسبًا إياها لأصحابها، متوخّيا ومتحرّيا الدقة والأمانة العلمية.

المطلب الثاني: البدء بذكر آراء العلماء، ثمّ المناقشة، والتعقيب برأيه.

والمراد أن يبدأ بكلام المفسرين وعرض آرائهم، ثم يناقشها وينقدها منتهيا بالتعقيب عليها مبديا رأيه قبولا او ردا.

- قال تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) البقرة).

يبدأ الحاكم بذكر أقوال العلماء المفسرين في تفسير الآية، فيقول[xxxi]: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ" قيل: شكّ، عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وجماعة، " فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا" قيل: بما أنزل الله من الفرائض والحدود، وقيل: بما أنزل من الآيات والحجج، فشكوا عندها، فأضاف ذلك إليه، وإنْ كان الشكّ منهم؛ لأنّه وجد عند نزول الآيات، وما زاده من الحجج، ونظيره قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) (125) التوبة"، قول الحاكم "ونظيره" واستشهاده بآيات أخرى؛ لبيان المراد و هذا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير بالنظائر، ويتم قائلا: "والآيات لم تزدهم رجسًا، ولكن ازدادوا عندها، كقوله: (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا) (6) نوح، وبعد استشهاده بهذه الآيات يعود إلى آية سورة البقرة متمّما تفسيرها بما ينقل عن غيره بقوله: "وقيل: في قلوبهم غم بتمكين النبي -صلى الله عليه وسلم- ونزوله بالمدينة، وما فتح الله عليه، وظهور المسلمين، وكثرة الفتوح، فزادهم غمًّا بما زاده من القوة والتمكين، وبما

[xxix] التهذيب في التفسير/ص 555.

[xxx] تفسير الطبري،ج514/2.

[xxxi] ينظر: التهذيب في التفسير، ص 248.

أخذ من النصر والتأييد، عن أبي عليّ، وأنكر الوجه الأول" - أنّ المعنى هو الشك-، "وذكر أنّه - تعالى- لا يجوز أنّ يزيدهم شكًّا في الدين، وقد بينا (الحاكم) أنّ له وجهًا صحيحًا، فلا معنى لإنكاره، مع أنّه مرويّ عن جماعة من السلف، وقيل: "في قلوبهم مرض" أي شك ونفاق، ..."، ومثل هذا الوجه الصحيح الذي يقصده الحاكم، والدّال على أنّه قد يكون بمعنى الشك، قد ناقشه من سبقه أمثال: الإمام الطبري مؤولاً إياه بقوله: "والمرضُ الذي ذكر الله جل ثناؤه أنّه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه: هو شكُّهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله، وتحيُّرُهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكارَ إشراك، ولكنهم كما وصفهم الله -عزّ وجل- مُذْبْذَبُونَ بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما يقال: فلانٌ يمَرِّضُ في هذا الأمر، أي يُضَعِّف العزمَ، ولا يصحِّح الرويَّة فيه"[xxxii]، وهذا غيض من فيض، فمن خلال المثال السابق يظهر طريقة من طرق الجشمي في تناول الآيات وتفسيرها، حيث بدأ بذكر أقوال المفسرين ناسبًا إياها لأصحابها، ثمّ مناقشته لأقوال من سبق، والتعقيب عليها قبولاً، أو ردًّا كما برز ذلك سابقًا.

- قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (28) البقرة. ففي هذه الآية يذكر أقوال من سبقه أمثال: ابن عباس، وابن مسعود، وقتادة، والأخفش، وأبي علي، ثمّ يعقّب بقوله مبيِّنا رأيه بصيغته ومتى قيل؟ قلنا: (تساؤلات الحاكم وإجاباته) أو ما أطلق عليه الباحث (فنقلات الحاكم)، فيقول مفسِّرا هذه الآية: "ثمّ عاد في الاحتجاج على الكفار في إنكارهم البعث، فقال: "كيف تكفرون" قيل :هو توبيخ، وقيل: منهم، وقيل تعجيب، تقديره عجبًا منهم أدخلوا محل من يتعجب منه أو عُجبوا: فيه معنى التوبيخ والتعجيب بالله"[xxxiii]، وذكر الزمخشري أنّ المراد هو الانكار والتعجيب[xxxiv] ويتم الجشمي بيانه للمعنى فيقول في قوله تعالى،" ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ" يوم القيامة، عن قتادة والأصم والاخفش وأبي علي، وقيل :لم تكونوا شيئا فخلقكم "ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ" يوم القيامة، عن ابن عباس وابن مسعود، وقيل يحتمل قوله: "يحييكم" الحياة في القبر، فتدل على عذاب القبر، عن أبي علي،..."ثم يعقب موضحا رأيه على سبيل التساؤلات والافتراضات، ثم يرجح بقوله: قلنا، فيقول: "ومتى قيل: لِمَ ذكر حياتين وهي ثلاث؟ قلنا: لم ينف الثالثة، فهي مسكوت عنها" فبدأ بترجيحه، أو ما يراه مقدَّمًا من الآراء بلفظ (قلنا)، ثمّ ينطلق لعرض الأقوال الأخرى مناقشًا، وممحِّصًا، ومعلِّلاً سبب الكلام، فيقول متمِّما:" وقيل: (ترجعون) كناية عن الحياة الثالثة؛ ولذلك عطف بحرف (ثم)، وقيل: لم يذكر حياة القبر؛ لقلتها، بالإضافة إلى غيرها في الحياة، كما لم يذكر من أحياه في الدنيا في قوله "وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ" 243 البقرة، كأنّه لم يعتد بها؛ لقلتها، وقيل لم يعتد بها؛ لأنّها في حكم الحياة الدنيا الأولى، ...."، هذه النقاشات والافتراضات دالة على سعة تبحره واطلاعه، والأمانة في نسبة الأقوال لأصحابها، والدقة والتيقّن؛ لذا أورد الباحث النماذج غالبًا بشكل كامل؛ ليتسنى له تأكيد ما يذهب إليه من قول وبيان.

[xxxii] تفسير الطبري، ج1 /ص 280.

[xxxiii] ينظر: التهذيب في التفسير، ص 304.

[xxxiv] وينظر: الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج1، ص 121.

تشهد النماذج السابقة على ما اعتمده الباحث من كون الحاكم يبدأ بذكر أراء وأقوال العلماء، ثمّ يتبعها تحليلاً، ومناقشةً، وتعليقاً، والأمثلة كثيرة مترامية الأطراف في تفسيره، آثر الباحث ذكر بعضها.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هناك مواضع كثيرة، يذكر الحاكم أقوال العلماء فيها ولا يعقب عليها ولا يناقشها، مكتفياً بالنقل، ويحسب الباحث أنَّ الحاكم في مثل هذه المواضع التي يكتفي فيها بالنقل، بأنَّها وجوه مقبولة عنده ويكتفي بها، كما في الأمثلة الآتية:

- (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) (116) البقرة ويذكر في بيان معنى قوله تعالى": "كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ" قيل: مطيعون، عن مجاهد وابن عباس، وقيل: مطيعون يوم القيامة، عن السدي. وقيل: قائم له بالشهادة؛ لما فيها من آثار الصنعة، والدلالة على الربوبية، عن أبي علي والأصم. وقيل: جميعها في ملكه وقهره، متصرف فيها كيف شاء، لا امتناع عليه، عن أبي مسلم"[xxxv]. فيما سبق يتبيّن أنّه ساق الأقوال من دون نقاش أو تعليق.

- قوله تعالى: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ (120)البقرة، وهنا يقول في بيان معنى قوله تعالى: "وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ):" يعني كل فرقة منهم - اليهود والنصارى - "لا ترضى عنك إلا أنْ تتبع ملتهم"، قيل: دينهم، وقيل: قبلتهم[xxxvi]" وقد رجّح الإمام الطبريّ أنَّ الملة هي الدين[xxxvii]، ثم يتم الحاكم قوله: "قل" يا محمد لهم "إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى" قيل: معناه أنّ القرآن هو الذي يهدي إلى الجنة، فالهدى الأول هو القرآن، والثاني: الهداية إلى الجنة عن أبي علي" فلو نظرت إلى تأويل شيخ المفسرين لوجدته يرى أنّ الهدى هو البيان المقنع، والفاصل بيننا وهو كتاب الله، ويقصد التوراة قبل أن تحرّف، ففيها يظهر من كان على الصواب ومن كان على الخطأ، وأمر الله لنبيه أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه؛ لأنّ تكذيب اليهود والنصارى فيما قالا: إنّ الجنة لن يدخلها إلا اليهود والنصارى، وإن من كذّب فهو من أهل النار وليس كمن يصدق برسالة محمد -صلى الله وسلم-، فالكافر برسالته -صلى عليه وسلم- هو الكافر الخاسر[xxxviii]، "وقيل: معناه الذي دعاه الله إليه من الدين هو الذي يهدي إلى الجنة، وطريق النجاة لا اليهودية والنصرانية، فالهدى الأول الدعاء إلى الحق، والثاني: طريق الجنة والنجاة، عن أبي مسلم[xxxix].

تلحظ من المثالين السابقين كيف ساق الحاكم الأقوال من دون نقد أو تعليق، وهذا نمط وفير تجده في تفسيره.

[xxxv] التهذيب في التفسير، ص 563.

[xxxvi] المصدر السابق (التهذيب في التفسير)، ص 571.

[xxxvii] تفسير الطبري، ج563/2.

[xxxviii] تفسير الطبري ،ج563/2.

[xxxix] المصدر السابق نفسه، 571.

المبحث الثاني

صيغ الترجيح عند الحاكم الجشمي في تفسيره

يأتي هذا المبحث؛ ليسهم في معرفة صيغ الترجيح عند الحاكم الجشمي في تفسيره (التهذيب في التفسير). والصيغ في اللغة جمع صيغة، والصيغة مأخوذة من الفعل صاغ الشيء يصوغ صوغًا وصياغة، وصغته أصوغه صياغة وصِيغةً وصَيْغُوغةً، وصيغه وصاغ فلان زورًا وكذبا إذا اختلقه، وهذا فلان حسن الصيغة، أي حسن العمل حسن الصيغة، أي حسن الخلقة[xl].

والصيغ اصطلاحا: يعرّفها ابن الحاجب بأنّها المراد من بناء الكلمة، ووزنها، وصيغتها، وهيئتها التي يمكن أن يشارك فيها غيره"[xli]، ويخلص الباحث إلى أنّ الصيغة بناء كلمة وهيئة يمكن أن يشارك فيها غيره؛ لبيان صفة، أو درجة دالة عليها لتميزها عن غيرها.

والناظر في هذه الألفاظ (الصيغ) يجد تفاوتًا فيها من حيثُ الجزالةُ والقوة، في الدلالة على الأقوال الراجحة والمرجوحة، وهذا التفاوت يعود إلى اختلاف الصيغ قوةً وضعفًا بحسب المقال وما يناسب الحال.

أمّا الترجيح لغَة فيتضح من خلال النظر في معاجم اللغة، أنّه يعود إلى أصل واحد (رَجَحَ) يدلّ على معنى رَزَنَه ووزَنَه، فيقال: "رَجحت بيدي شيئًا، أي ووزنته ونظرت ما ثقله، وأرجحت الميزان: أثقلته حتى مال، وترجّح بمعنى الرأي عنده غلب على غيره[xlii]، من هذه المعاني التي سبق ذكرها، يظهر أنّ معنى الترجيح هو الميل والزيادة والتغليب.

أمّا في الاصطلاح: فقد قال الزركشي في البحر المحيط: " هو تقوية إحدى الإمارتين على الأخرى بما ليس ظاهرًا"[xliii]، وذكر الشنقيطي[xliv] أنّه: "تقوية أحد الدليلين المتعارضين"،

[xl] ابن منظور، لسان العرب ،ج 8/ص 442.

[xli] الاستراباذي محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: 686هـ، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام 1093 من الهجرة حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن – ومحمد محيى الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1395هـ/1975م.

[xlii] الفراهيدي: الخليل بن أحمد ت 170 هـ، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال،ج3/ص 78، وابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر 1399هـ – 1979م. وابن منظور: لسان العرب، ج2/ص 445، والمعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط2/ 1972م، ج1/ص 330.

[xliii] الزركشي: أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر/ت 794هـ، البحر المحيط في اصول الفقه، دار الكتب ، ط 1، 1414هـ/ 1994م، ج8/ ص 145.

[xliv] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي(1325هـ .1393هـ)،مذكرة اصول الفقه على روضة الناظر، دار عطاءات العلم/الرياض، دار ابن حزم/بيروت، ط5، 1441هـ/2019م، ص 476.

وذكر الحربيّ[xlv]: "أنه تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية؛ لدليل، أو قاعدة تقَوّيه، أو لتضعيف أو ردَ ما سواه" ومراده من قوله "لتضعيف ما سواه" أي أنه إذا ضعف ما سواه من الأقوال، أصبحت الصحة أو القوة محصورة في هذا القول، وهذا ضرب من أوجه الترجيح.
وبعد هذا العرض يمكن القول: إنّ الترجيح هو اختيار المفسر دليلاً من الدليلين المتعارضين، وإظهار حجته وتقويته بدليل، أو بقوة الدلالة، أو بقرينة ترجّح ذلك.
وبناءً على ما سبق فإنّ صيغ الترجيح عند الحاكم هي الألفاظ، أو العبارات التي استعملها في تفسيره عند ترجيحه لأحد الأقوال الواردة في معنى الآية، أو المفردة القرآنية.
ومن هنا أراد الباحث بيان الصيغ التي تناولها الحاكم، وبيان ما يخلص إليه من ترجيحات قَبولا أو ردًّا، وعرض صيغ الترجيح التي أعملها الحاكم مستشهدًا عليها بنماذج من تفسيره.

المطلب الأول: أعلى صيغ الترجيح وأقواها:
هي ترجيحات الحاكم المتعلقة بعرض أقوال السابقين، ثمّ مناقشتها، ثم ترجيح ما يراه مناسبًا ضمن صيغه المختارة، مثل: (هو الأحسن، هو الوجه، هو الأول، هو الوجه المختار، والأول أظهر، وهو الأوجه، وأصح الأقوال...).
ومن الأمثلة على هذه الصيغ التي تناولها الحاكم في بيان المعنى التفسيري للكلمة القرآنية أو الآية القرآنية:
- "الأحسن"، كما في قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (6) الفاتحة.
ينقل الحاكم معنى الصراط عن سابقيه فيقول: "قيل: ثبتنا على الطريق المستقيم والهداية، عن أبي علي وأبي بن كعب،...وقيل: أرشدنا إلى طريق الجنة في الآخرة، وقيل: ألطف[xlvi] لنا في المستقبل والمستأنف كما لطفت في الماضي؛ لأن العبد وإن كان على طريق الحق فمحتاج الطاف ربه؛ ليزيل عنه الشكوك، ووسوسة الشيطان، وشبه المبطلين، وقيل:...، والأحسن هو الأول؛ ليشاكل ما قبله من طلب المعونة"[xlvii]، كان ترجيح الحاكم بقوله والأول أحسن معلّلاً ترجيحه بقوله: ليوافق ويشاكل ما قبله من طلب المعونة، موافقا بذلك التناسب والترابط بين

[xlv] الحربي: حسين بن علي بن حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية ، رسالة ماجستير/جامعة الإمام 1415هـ، إشراف الشيخ مناع القطان، دار القاسم السعودية، ط2/1429هـ/2008م، ج1/ص 29.

[xlvi] اللطف: هو مصطلح اطلقه المعتزلة على نظرية من نظرياتهم المتعلقة بالعدل الإلهي، وعرفها البعض بأنها ما يختار عنده المكلف الطاعة، أو ما يقرب منها مع تمكنه من الحالين، أو هو ما يختار عنده المرء الواجب ويتجنب القبيح .ينظر: الهمذاني: عبد الجبار ت 415هـ، شرح الأصول الخمسة، تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان ، ط1، 1422هـ/ 2001م، ص 354، والكساسبة، محمد عيسى، نظرية اللطف الإلهي عند متأخري المعتزلة...، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، مج 43، عدد 1، لعام 2016.

[xlvii] التهذيب في التفسير، ص 214.

الآيات، وهو القول الذي رجّحه شيخ المفسرين قبله، بقوله: "وَفِقنا للثبات عليه[xlviii] "في رواية ابن عباس رضي الله عنه.

- " أوجه"، كما في قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) (14) البقرة.

تجد أنّ الحاكم في بيان معنى شياطينهم في قوله تعالى: (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) يقول[xlix]:" قيل رؤسائهم من الكفار، عن ابن عباس، وقيل: شياطين الجن عن الكلبي، والأول أوجه؛ لأن عليه أكثر أهل العلم، وهو أسبق إلى النفس، ولأنه ليس في الكهنة" ويستطرد في نقل أقوال أخرى، ويظهر ممّا سبق أنّ الحاكم رجّح بقوله: والقول الأول أوجه معلًّلا ومحلًّلا سبب ترجيحه معتمدًا على رأي أكثر أهل العلم من جانب، ومن جانب ميل النفس إليه بقوله: "وهو أسبق على النفس، ويرى الباحث أنّ هذه العبارة غير دقيقة، فقد يكون ميل النفس موافقا لهواها وشهواتها.

ومثال آخر: بصيغة (أوجه)، قوله تعالى: (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) (71) البقرة.

وفي بيان معنى قوله: (مسلمة) ينقل أقوال من سبق بقوله: "قيل بريئة من العيوب، عن قتادة وأبي العالية وعطاء. وقيل: مسلمة من الشية، عن مجاهد. والأول أوجه؛ لأنه أكثر في الفائدة مع صحة معناه، وعليه أكثر أهل العلم، وقيل سليمة من آثار العمل؛ لأن العوامل لا تخلو من أثر العمل في قوائمها وبدنها.. "تلحظ أنّ الحاكم رجّح القول الأول وهو أنّها بريئة من العيوب"، بقوله: والأول أوجه، مستندًا في ترجيحه إلى الفائدة المرجوّة من المعنى وصحته، وهذا تحليل منطقي حيث ما يراه من الفائدة، مع سلامة المعنى، ثم يضيف مؤكدًا هذا الرأي أنّ أكثر أهل العلم على هذا المعنى؛ فكان مدعاةً للترجيح، تعدّد هذه الأدلة والحجج مدعاة لقوة الترجيح.

- "الأوجه" كما في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (61) البقرة.

أبان الحاكم معنى قوله تعالى: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) قائلاً: " قيل: أتتركون من الطعام ما هو خير؟ وتطلبون ما هو شر، وقيل: أتتركون ما اختار الله لكم؟ وتريدون ما تختارون لأنفسكم، وهو استفهام، والمراد النهي، أي لا تختاروا ما لا يختاره الله لكم، وعلى هذين المعنيين "أدنى" من الدون الذي هو الدوني، وقيل: هو من الدنو أي تتركون ما هو أقرب مأخذا، وتختارون ما هو أبعد، وقيل: بدّلوا الأخبث بالألذ"[l].

[xlviii] تفسير الطبري، ج1 /ص 166.

[xlix] التهذيب في التفسير، ص257، والطبري ،جامع البيان، ج1/ص 297، ومعاني القران للزجاج ت 311هـ، ج1 /ص88، و ابن كثير في تفسيره،ج1/ص93.

[l] ينظر: الفراء/معاني القرآن ج 1/ص 42.

ثم يستشهد الباحث في بيان الحاكم لمعنى قوله تعالى: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) من خلال فنقلاته (سؤال وجواب)؛ ليظهر صيغة الترجيح التي استعملها الحاكم في هذا الموضع، حيث يطرح تساؤلا: "ويقال: سؤالهم هل كان معصية؟ قلنا: قيل: لا؛ لأنّ الأول كان مباحًا، فسألوا مباحًا آخر، وقيل: كان معصية؛ لأنّهم لم يرضوا بمَا اختاره الله لهم؛ لذلك ذمّهم على ذلك، وهو الأوجه[li]" هنا يرجّح الحاكم بقوله: هو الأوجه، فرجّح الرأي القائل: بأنّهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم؛ فلذلك ذمهم على ذلك، أي أنّه رجّح أنّ السؤال كان في معصية وتوبيخ؛ لعدم رضاهم بما اختاره الله لهم، ويؤيد هذا الرأي ما ورد في تفسير الطبريّ وتفسير أبي السعود[lii]. وغيرهم.

- الترجيح بعبارة (أصح الأقوال) كما في قوله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِّ وَمَا اللهُّ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74) البقرة.

يسلّط الباحث النظر على بيان الحاكم للمعنى التفسيري لقوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِّ) حيث يقول الحاكم: "الضمير في "منها" قيل: يرجع إلى الحجارة، يعني: وفي الحجارة ما يهبط من خشية الله، وعليه أكثر أهل التفسير"، وقوله عليه أكثر أهل التفسير دالّ على أنّه يرجّح هذا الرأي، أي أنّ الضمير يعود إلى الحجارة، ثم يتابع بيانه لتفسير الآية.

فيقول: "وقيل: يرجع على القلوب، وتقديره: من القلوب ما يهبط من خشية الله تعالى، يعني يخضع فيكون مستثنى من قلوب الفاسقين، وهم من آمن من أهل الكتاب، عن أبي مسلم، ومن قال: إنه يرجع إلى الحجارة اختلفوا في معناه، فقيل: هو البرد يهبط لخشية الله، كقوله تعالى: (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِّ) الرعد 11، أي بأمر الله، عن أبي علي، وقيل: بل هو على جهة الميل، كأنه يهبط من خشية الله لِمَا فيه من الانقياد لأمر الله، الذي لو كان من حي قادر؛ لدلّ على أنه خاشٍ لله، وهذا معنى قول أبي القاسم، ...، وأصحّ الأقوال ما ذكره أبو القاسم: أنه على طريق التمثيل، وله شواهد..."[liii].

رجّح الحاكم قول أبي القاسم بقوله: "وأصح الأقوال ما ذكره أبو القاسم "أنه على طريق التمثيل، واستدلّ الحاكم بشواهد على ذلك منها قوله تعالى: (جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) الكهف 77، أي كأنه يريد..." ولا إرادة له، دلالة على أنه يرى كل شيء هابط من عظم قدرة الله تعالى وأمره[liv].

- الترجيح بصيغة "الأصح" كما في قوله تعالى:(أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108) البقرة.

يقول الحاكم في بيان نوع الاستفهام في قوله تعالى: "أَمْ تُرِيدُونَ": أنه استفهام إنكاري بعبارته"استفهام عن طرق الإنكار"[lv]، واختلفوا فيمن الخطاب، فيذكر أقوالا عدة منها: أنّ

[li] التهذيب في التفسير، مرجع سابق ، ص 408.

[lii] تفسير الطبري: ج132/2. وينظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى تـ (982هـ)، تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم غلى مزايا الكتاب الكريم دار إحياء التراث العربي . بيروت، ج1/ص106.

[liii] التهذيب في التفسير، 441.

[liv] ينظر: تفسير الطبري،ج2/ص 242.

[lv] التهذيب في التفسير، ص 544.

المخاطب به هم المسلمون، عطفًا على قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا راعِنا (104)) البقرة، ويقول :قيل: خطاب لهم فقد سألوه عن أمور لا خير لهم في البحث عنها، ويقول :قيل: خطاب لهذه الأمة ونهي لهم أن يسألوا نبيهم كما فعل بنو إسرائيل، ويقول :قيل خطاب لأهل مكة، وقيل: لليهود، عن ابن عباس وهو الأصح"، وهو يرجّح الرأي الأخير المنقول عن ابن عباس بقوله "الأصح" ويتم كلامه معلّلا سبب هذا الترجيح؛ أنه حكاية عنهم، وضرب من الحجاج معهم، وسبب آخر: أنّ الآية مدنية، بقوله:" لأنّ ما تقدم حكاية عنهم، ومحاجة معهم، ولأن الآية مدنية".

إنّ هذا الرأي، الذي عبّر عن قبوله وترجيحه بلفظ الأصح، يخالف ما ذكره شيخ المفسرين في تفسيره للآية، فتأويل الكلام عنده: "أتريدون أيّها القوم أن تسألوا رسولكم من الأشياء نظير ما سأل قوم موسى من قبلكم؟ فتكفروا ...، كما هلك من كان قبلكم من الأمم التي سألت أنبياءها ما لم يكن لها مسألتها إياهم، فلما أعطيت كفرت، فعوجلت بالعقوبات؛ لكفرها، بعد إعطاء الله إياها سؤله[lvi] "فالذي يظهر أنّ المراد هنا ليس اليهود، بل هم العرب، أو قريش في زمن محمد صلى الله عليه وسلم.

- الترجيح بصيغة (أظهر، الظاهر):

- كما في قوله تعالى: (يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ (85)) البقرة، إذ يبين الحاكم الجشمي معنى العذاب مستنيرًا بنقل أقوال السابقين، فيقول: "قيل عذاب لا روح فيه مع اليأس من التخلص، وقيل: أشد من عذاب الدنيا عن الأصم، والأول أظهر وأزجر وأعم في الفائدة[lvii]"، يلاحظ أنّ الجشمي استخدم صيغة (أظهر)؛ للتعبير عن ترجيحه لهذا القول، إذ قدّمه على غيره من الأقوال معلّلا ذلك بحجة عقلية، بأنه أزجر وأعم للفائدة، وأشار الإمام الطبري[lviii] -رحمه الله- إلى أنّ وجود أل التعريف دالّ على أنّهم يردون إلى أشد معاني العذاب، وأنه عُني به جنس العذاب كله، دون نوع محدد منه، فالذي رجّحه الجشمي يوافق هذا المعنى.

- وصيغة الأظهر، كما في قوله تعالى: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا (166)) البقرة، إذ يقول الحاكم في بيان المعنى التفسيري: "قيل: القادة والرؤساء من مشركي الإنس، ...وقيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن، وقيل...، والأظهر هو الأول[lix]" ويتم تفسيره موضحًا سبب ترجيحه "أنّ الذين أفنوا عمرهم في اتباعهم كان عاقبة أمرهم أنْ تبرؤوا منهم أحوج ما كانوا." أي أنّه بعد البحث والتحري وجده أقوى الأقوال وأظهرها، فوصفها بالأظهر، وذكر ابن كثير في بيانه للآية مثل هذا ولكن بصورة مشتملة، أي كلّ منهم، سواء كان هذا التبري صادر من الملائكة، فتبرأت منهم الملائكة التي كانوا يزعمون أنهم يعبدونها، أو من الجن فهم كذلك يتنصلون منهم"[lx].

[lvi] تفسير الطبري، ج2/494.

[lvii] التهذيب في التفسير، ص 475.

[lviii] ينظر: تفسير الطبري، ج2/ص 315.

[lix] التهذيب في التفسير، 697.

[lx] ينظر: تفسير ابن كثير، ج1/346.

- الترجيح بصيغة (الأولى، أولى) كما في قوله تعالى:(إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (145) البقرة، كما اعتاد الحاكم الجشمي على النقل عن غيره، لذا يبين المعنى التفسيري للآية مستدلا بأقوال من سبقه قائلا: "قيل :لمن الظالمين لنفسك بارتكاب صغيرة، عن أبي علي وقيل: إنك إذا بمنزلتهم في كفرهم وظلمهم، قال القاضي: وهذا أولى لأن ما وقع منهم يجب أن يُتناول على ظلم النفس، لا ما المعلوم أنه يقع، ونظيره: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ (65)) الزمر[lxi]" ويوافق ذلك ما ذكره الطبريّ في قوله: "إنك إذا فعلت ذلك، من عبادي الظَّلَمةِ أنفسَهم، المخالفين أمري، والتاركين طاعتي، وأحدُهم وفي عِدادِهم"[lxii]، يظهر من المثال السابق أنّ الحاكم أخذ بصيغة أولى في ترجيحه، مؤيدا بذلك رأي شيخه القاضي عبد الجبار[lxiii]، مكتفياً بهذا الترجيح وعلّة ترجيحه، حيث يقوم هذا التعليل على التحليل المنطقي العقلي الموافق لظاهر النص.

المطلب الثاني: فنقلات الحاكم الجشمي

هي ترجيحات الحاكم المبدوءة بصيغة قلنا، أو صيغة التساؤل (سؤال وجواب) (متى قيل؟ قلنا:)، وسار فيها على نهج من سبقه كالإمام الطبري، ثم تأثر بها تلميذه الزمخشري من بعده تأثرًا بارزًا.

ومن النماذج على هذا النمط:

- تفسيره لقوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (4) الفاتحة، يقول الحاكم في تفسيره للآية الكريمة السابقة فيما يتعلق بهذه الصيغة: "ومتى قيل: لِمَ خصَّ ذلك اليوم بالذكر؟ قلنا: تعظيمًا له وتفخيمًا لشأنه، كما قال تعالى: (رَبُّ الْعَرْشِ) (129) التوبة، وقيل: لأنّ هناك أملاك الملوك زائلة، والملوك خاضعة، والدعاوي باطلة، فلا حكم إلا له، وقيل: ذكره ترغيبًا في الاستعداد لذلك اليوم" [lxiv]، وذكر الطبري في تفسيره[lxv] أنه يوم يدان الناس به بأعمالهم فيحاسبوا عليها ؛فاستعدادًا لذلك اليوم خصّ بالذكر، ويظهر أنّ المعنى الذي أراده الجشمي أنّه اختصّ هذا اليوم بالذكر؛ تعظيمًا له، وتفخيما لشأنه؛ ليستعد الناس له، ولفظ الجشمي: "قلنا"، يعني أنه يختار ويرجّح هذا الرأي، معبرًا عنه بهذه الصيغة (قلنا) ومبتدئاً به، أمّا تعبيره بعبارة قيل فتدلّ على سرد الأقوال، واستعراضها، والإعلام بها .

- قوله تعالى: (وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) (143) البقرة.

[lxi] التهذيب في التفسير، ص 635.

[lxii] تفسير الطبري، ج3/ص 187.

[lxiii] عبد الجبار، أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني الاسد آبادي،ت415هـ ،(تفسير القاضي عبد الجبار المعتزلي) المسمى ب التفسير الكبير أو المحيط، تحقيق خضر محمد بنها، دار الكتب العلمية . بيروت، ط 1، 2009م، ص 91.

[lxiv] التهذيب في التفسير، ص 209.

[lxv] ينظر: تفسير الطبري، 1، ص 157، بتصرف.

في ضوء بيان الحاكم للمعنى التفسيري للآية تجده يكثر من تساؤلاته وفنقلاته، فعلى سبيل المثال في هذه الآية يقول في قوله تعالى: "إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ" أقوال يسندها إلى أصحابها وأخرى لا يسندها، وإنما يذكرها بصيغة (قيل)، فقيل: للمؤمنين، عن ابن عباس وأبي علي، وقيل: ثقيلة على أهل الكتاب إلا من آمن منهم، عن أبي مسلم، وقيل: إلا على الذين هداهم لذلك، ثم يتبعه بتساؤل "ويقال: لِمَ خصّ المؤمنين بأنّه هداهم، وقد هدى جميع الخلق؟ قلنا: لأنه ذكرهم على طريق المدح فخصّهم بذلك، وقيل: أراد به الاهتداء، وقيل لأنّهم الذين انتفعوا بهدي الله، فغيرهم كأنه لم يعتد بهم"[lxvi]، فرجّح أنه ذكرهم على طريق المدح بصيغة قلنا، حيث بدأ بما رجّح، ثمّ ساق بقية الأقوال، ونظير هذا ما أشار إليه الطبري في تفسيره لقوله: "إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ" أي أنها "لعظيمة إلا على من وفّقه الله جل ثناؤه[lxvii]" وهذا دالّ أنّ المراد في كلا الرأيين هو مدحهم؛ لأنهم انتفعوا بهدي الله تعالى، ووفقوا للقيام بأوامره.

- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (153) البقرة. وهذا نموذج آخر شاهد على فنقلاته، حيث يتم بيان معنى الآية بفرض تساؤلاته، فيقول: "ويقال: استعينوا بهما على ماذا؟"[lxviii]، قلنا: على سائر الطاعات، وقيل: على الجهاد ..."، فما رجّحه الجشمي في بيان علام تكون الاستعانة؟ سبقه في ترجيحه الطبري في تفسير هذه الآية عندما قال: "واعلموا أنهما من طاعة الله[lxix]". "وأنهما عون على طاعة الله تعالى"، وهكذا يتوافق الجشمي مع الطبري في بيان المعنى، والذي يخلص إليه الباحث أنّ الحاكم عندما يقول: (قلنا) فهو هنا يرجّح رأيه مبتدئا به، ثمّ يتبعها بأقوال الآخرين.

المطلب الثالث: الصيغ المحتملة

تناول الحاكم المسائل التي ذكر فيها ترجيحات محتملة، أو ما يماثل ذلك، مثل: (كلاهما محتمل، جائز، الأول أقرب، الوجوه جائزة، الكل محتمل).

وأشار الدكتور عدنان زرزور إلى هذا النمط من الترجيحات وعدّه من طرق الحاكم في الترجيح.

- الترجيح بصيغة تفيد الاحتمال، كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (62) البقرة.

ففي بيان المعنى التفسيري لقوله تعالى "مَنْ آمَنَ" يقول الحاكم: "يحتمل أنْ يرجع إلى اليهود والنصارى والصابئين، ويحتمل أنْ يرجع إلى جميع من تقدّم[lxx]" ويقصد بجميع من تقدم، (المعاني المحتملة التي ساقها الحاكم، كأن يكونوا :القوم الذين آمنوا بعيسى، وانتظروا خروج محمد، أو طلاب الدين كورقة وسلمان، أو مؤمنو الأمم السابقة، أو المؤمنون من هذه الأمة)،

[lxvi] التهذيب في التفسير، ص 626.

[lxvii] ينظر تفسير الطبري ج 1، ص 166.

[lxviii] التهذيب في التفسير653، وينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ،ج 229/1.

[lxix] تفسير الطبري ج 3، ص 214.

[lxx] التهذيب في التفسير، ص 412.

وسبق ذكر هذه الأقوال عند الطبري في تفسيره، حيث أورد في تأويله للآية: "إن الذين آمنوا من هذه الأمة، والذين هادوا، والنصارى، والصابئين -من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر- فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[lxxi]، هذا ما رجّحه الطبري، وبناءًا عليه فالاحتمال الأول عند الحاكم يتناسب مع ما ذكره الإمام الطبري، ومحصلة القول إن التعبير بـ(يحتمل) يشير إلى تردد الجشمي بين هذين المعنيين، وأنّ كلاهما قابل الصحة، وإنْ لم يكن الترجيح واضحًا بصيغه المشهورة إلا أنّ الباحث عدّ مثل هذا النوع من الترجيحات لدى الحاكم الجشمي.

- الترجيح بصيغة تفيد القرب من المعنى المراد ك (الأقرب) أو (أقرب)، كما في قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (76) البقرة، وهذه من الصيغ التي أدرجها الباحث في هذا الباب، لفظ "الاقرب" أو "أقرب" فاللفظ لا يشير إلى الجزم بل تتطرق له الاحتمالية، فتجد في بيان معنى قوله تعالى : "لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ" يقول: "قيل: لتكون لهم حجة عليكم، عند الله في الدنيا والآخرة، وقيل: ليكون لهم حجة عند الله يوم القيامة، وقيل :عند ربكم، فيكون أولى به منكم، إذا قامت حجة عليكم، عن الحسن، ...، والأول أقرب؛ لأنه أظهر من غير تخصيص"[lxxii] فالحاكم يختار القول الأول ولكن ليس على وجه الجزم، بل على التقريب كما يصفه، ومثل هذا ذكره الإمام الطبري ومال إليه[lxxiii].

- وقوله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (124)البقرة. يقول الحاكم في بيان معنى قوله تعالى: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"، "فتكفل بذلك، عن أبي القاسم، وقيل: أمره بكلمات يؤديهن إلى أمته، فقام بذلك، عن أبي علي، والكل محتمل؛ لأنه يحتمل أنّه ألزمه حفظًا، أو فعلاً، أو إبلاغًا، وإنْ كان الأقرب ما ذكره أبو علي[lxxiv]" عبّر الحاكم بلفظ والكلّ محتمل مشيرًا إلى احتمال صحة كل معنى، ثمّ علّل ذلك، مع بيان ما يميل إليه بقوله الأقرب.

ويؤيد هذا المعنى ما ذكره ابن عطيه في تفسيره[lxxv]: أنّها الوحي إليه بالرسالة، ويكون قوله تعالى: (إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً) بدل بعض من قوله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى) وجوَّز أنْ يكون المراد

[lxxi] تفسير الطبري: ج 155/2.

[lxxii] التهذيب في التفسير ، ص 447.

[lxxiii] ينظر تفسير الطبري، ج2 ، ص 255.

[lxxiv] التهذيب في التفسير ، 579.

[lxxv] ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الاندلسي المحاربي ت 542هـ،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية ـ بيروت ،ج1/ص 205،وينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت 393هـ ،التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) الدار التونسيةـ تونس، 1984م ،ج1/ص 701.

بالابتلاء هو الوحي بالرسالة، ويكون المراد ب (إماما) الرسول والقدوة، فيكون الأقرب أنّ الكلمات التي يؤديها الرسول القدوة هي ما جاءت به رسالته الموحى بها من عند الله.
كانت تلك نماذج ساقها الباحث؛ ليدلل على إعمال الحاكم لهذه الصيغ خلال عرضه التفسيري، ويشيد بأثر الحاكم في نقده وشرحه وبيان الأقوال التي يوردها في أثناء بيان المعنى التفسيري للآية، وبيان علة ترجيحه لقول، أو رأي قبولاً أو ردًا.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:
في ختام هذه الدراسة التي عرضت لموضوع "طرق الترجيح عند الحاكم الجشمي وصيغه"، توصّلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:
أولا: غزارة علم الحاكم الجشمي وتضلعه في علوم مختلفة، كالتفسير والفقه واللغة وعلومها، وتتمثل في جمعه بين القوة العلمية والدقة في الاستنباط والترجيح.
ثانيا: عنايته بأفضل الطرق التي سلكها لبيان المعنى التفسيري.
ثالثا: تنوع صيغ الترجيح عند الحاكم الجشمي بين صيغ القوة والضعف، بحسب المقال وما يناسب الحال، فهناك أعلى الصيغ وأقواها مثل: (أصح الأقوال، هو الأحسن، الأوجه، هو الوجه، الأول أظهر)، والصيغ المحتملة كقوله: (كلاهما محتمل، جائز، الأول أقرب، الكل محتمل....
رابعا: تعدد صيغ الترجيح عند الجشمي يدل على تضلعه في التفسير واطلاعه على أقوال أهل التفسير وغيرهم، فيستخدم عند كل نوع ترجيح لفظٍ مناسبٍ، وقاعدة متينة تعطي لقوله قوة ومتانة.
خامسا: عرض نماذج تطبيقية لأبرز صيغ الترجيح في سورتي: الفاتحة والبقرة.
سادسا: تأثر الحاكم الجشمي بالمفسرين السابقين وعلى راسهم الإمام الطبري رحمه الله.

التوصيات:

ومن أهم التوصيات:

توصي الدراسة الباحثين في الدراسات القرآنية توجيه عنايتهم للمزيد من البحوث والدراسات حول هذا التفسير وعلومه المتنوعة؛ وهذا يتطلّب عملاً موسوعيًا؛ لضخامة هذا التفسير، وغناه بكثير من العلوم الشرعية، وإفراد رسائل مستقلة تتناول الترجيحات التفسيرية عند المفسرين عند تعدد الاقوال، واستخلاص الفوائد منها، وبيان أثرها، ومنها هذا التفسير "التهذيب في التفسير" للحاكم الجشمي.

قائمة المصادر والمراجع

- الاستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، نجم الدين (المتوفى: 686هـ، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام 1093هـ، حققهما وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن - ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1395هـ/1975م.
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف تـ 833هـ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ/1999م.
- الجُشَمي، أبي سعد المحسن بن كرامة ت (494هـ)، التهذيب في التفسير، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان السالمي، دار الكتاب المصري –القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط1، 2018م/2019م. وعيون المسائل للحاكم الجشمي، تحقيق رمضان يلدم، دار الإحسان.
- الجندي، الشيماء سعيد عبد السلام، آيات الأحكام في تفسير الحاكم الجشمي، جامعة العلوم الإسلامية العالمية – عمان ،2021م.
- الحربي، حسين بن علي بن حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، رسالة ماجستير/جامعة الإمام، 1415هـ، إشراف الشيخ مناع القطان، دار القاسم - السعودية، ط1429،2هـ/2008م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420هـ.
- الخالدي، صلاح محمد خلف نهار، آيات الاحكام المتعلقة بالوصية عند الحاكم الجشمي(494هـ) في تفسيره التهذيب سورة البقرة أنموذجًا، كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة الأنبار، الناشر: الجامعة العراقية– مركز البحوث والدراسات الإسلامية 2021م.
- الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة/الإمارات، ط1، 1428هـ/2007م.
- الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408هـ-1988م.
- زرزور، عدنان محمد، الحاكم الجُشمي ومنهجه في التفسير، رسالة دكتوراه، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط).
- الزركشي: ابو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بهادر ت 794هـ، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب، ط1، 1414هـ/1994م.
- الزركلي: خير الدين محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط (15 أيار/2002 م).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة - 1407هـ.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى تـ (982هـ)، تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (1325هـ/1393هـ)، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، دار عطاءات العلم/الرياض، دار ابن حزم/بيروت، ط5، 1441هـ/2019م.
- الصرفيني: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ت 641هـ، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ت 641هـ، تحقيق خالد حيدر، دار الفكر، 1414هـ.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224 - 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث - مكة المكرمة.
- الطويسي، آلاء محمد توفيق، علم المناسبة في تفسير الحاكم الجشمي، دراسة تحليلية، جامعة العلوم الإسلامية، عمان – الأردن2022م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت 393هـ، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) الدار التونسية- تونس، 1984م، ج1/ص 701.
- عبد الجبار، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسد آبادي ت 415هـ، تفسير القاضي عبد الجبار المعتزلي المسمى ب (التفسير الكبير، أو المحيط)، تحقيق خضر محمد بنها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1،2009م.
- العروسي: أحمد حسن العروسي، الدرس النحوي والصرفي في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي ...، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، 2007م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الاندلسي المحاربي ت 542هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية – بيروت.
-عمورة، ميادة حسن حسين، التفسير البلاغي في كتاب (التهذيب في التفسير) للحاكم الجشمي، جامعة العلوم الإسلامية العالمية/عمان،2021م.
– ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر 1399هـ - 1979م.
– الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي/محمد علي النجار/عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.
- الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت170هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
– ابن فندمة، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي (ت565هـ)، تاريخ بيهق، دار اقرأ، دمشق، ط1، 1425هـ.
- القاسم، إبراهيم بن القاسم بن محمد بن القاسم (ت1153هـ)، طبقات الزيدية الكبرى، ط 1، 2001م، تحقيق عبد السلام بن عباس الوجيه مؤسسة الإمام زيد الثقافية.
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ.
- كحالة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني (ت1408هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى /بيروت، دار إحياء التراث العربي/بيروت.

ـ الكساسبة، محمد عيسى، نظرية اللطف الإلهي عند متأخري المعتزلة...، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، مج43، عدد 1، لعام 2016.
ـ ابن المرتضى: أحمد بن يحيى ت 840هـ، من أئمة الزيدية باليمن، شرح الأزهار، نسخة الكترونية/المكتبة الشيعية.
ـ ابن منظور: محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين، (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر–بيروت.
ـ نويهض، عادل، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1988م.
ـ الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ.
ـ وردات، تقوى مناور عبد الرحيم، القراءات القرآنية عند الحاكم الجشمي في تفسيره (التهذيب في التفسير)، جامعة العلوم الإسلامية العالمية – عمان/الاردن،2021م.